الفصل الثالث
الشـجاعة والأقدام

الأم اليابانية ترضع طفلها الشجاعة فتؤنبه إذا سولت له نفسه البكاء فتعنفه بكلمات تهزه كما لو كانت تخاطب رجلا كأن تقول له كيف تبكى وماذا ستفعل لو بترت ذراعك أو ساقك، الأم والأمة اليابانية كلها تربي أبنائها على تقاليد البطولة والإسراف فيها لدرجة أن تقاليدهم تدفعهم بأن يرسل الوالد أبنه إلى أعالي الجبال دون أي سلاح يحميه أو يدافع به عن نفسه ضد الصعوبات والمخاطر التي قد تعترض طريقه وبالغ بعضهم في غرس هذه الروح بأن يأتي بابنه إلى ساحات الإعدام لرؤية هذا المشهد الرهيب، ليس هذا فحسب بل يرسله ليلا إلى مدفن القتيل ويطلب منه أن يترك أثرا هناك في تلك المخابئ المرعبة، أما في أعيادهم المقدسة فيجردون الأطفال من

ملابسهم ويجعلونهم عراة الجسد حسر الرأس ويطلبون منهم البيات ليلة العيد سجدا وهم يرددون الأغاني الدينية[٢٨] . هذه العادات التربوية أفرزت إنسانا خشنا لا يتأثر بأفظع المشاهد أو أغربها وحشية وربما تتعارض هذه العادات مع الأسلوب الحضاري في التربية الحديثة ولاقت استنكارا من الأخصائيين العصريين، ولكن هناك شروطا أخرى عند اليابانيين في تدريب الأبناء لتكوين الرجولة والشجاعة مثل الرزانة والتوازن في كل جرأة واحترام والتحلي بالصبر والقدرة على استقبال نائبات القدر دون توهن أو ضعف، هذه الصفات الإضافية تخفف من حدة الخشونة الفظة وتلطف من القسوة وتجعل منه رجلا صالحا قادرا على مواجهة الأحداث الاجتماعية بكل ما تستلزم من رقة ولطف وخشونة وجبروت[٢٩] .

كان هذا المفهوم ذا أهمية كبيرة في برنامج كونفوشيوس التربوي. ويقول الأطباء النفسيون أن تربيتنا رغم أنها تصقل العقل إلى حد كبير إلا أنها غالبا ما تفشل فشلا واضحا في إخضاع العواطف للنظام ولهذا السبب نعجز أحيانا عن إخراج فرد كامل التكوين قادر على أن يأخذ مكانه بوصفه عضوا سعيدا وصالحا في المجتمع . وكان كونفوشيوس يعتبر أن الصقل العقلي قليل القيمة ما لم يكن مصحوبا بالتوازن العاطفي. وللوصول إلى مثل هذا التوازن أعتمد في

---

[٢٨] منشيوس ٢ / ١(٢/١٦:٩)
[٢٩] منشيوس ٢ / ١(٢/١٥)

تربية النبلاء على هذه الصورة القوية التي أوضحناها لمواجهة العالم فيكون له من القوة والشجاعة ما يمكنه من التمسك بحقوقه ومبادئه خلال أية محنة وفي مواجهة كل إغراء .

وعرف كونفوشيوس الشجاعة "بأنها الإتيان بأعمال ترتكز إلى المنطق والتفكير الصحيح في الأمور العادلة والمستقيمة، وليست المخاطر أو المغامرات والذهاب للموت دون غاية تستحق التضحية "، لذلك نرى الياباني ينظر إلى الموت بورع وهدوء ولا يخاف منه ويعرف قيمة الحياة فلا يقدم على عمل ينهي حياته دون مبرر فتراهم يفصلون بدقة بين الشجاعة والإقدام أو المغامرة التي يصفونها بالرعونة والتهور، ففي حالة إقدام شخص على المغامرة التي تودي بحياته دون أن تستحق التضحية تجدهم يسخرون منه و يعتبرونه مجرد حيوان نفق، أما إن كانت في سبيل القيم فيعتبرونه شهيدا لأن كونفوشيوس قد أكد في تعاليمه على الاستعداد للتضحية بالروح في سبيل المبادئ. ويذكر التاريخ آلاف الثوار في عهده ماتوا لعملهم بوصيته بانتقاد أي حكم خاطئ دون خوف من أحد ومن أجل الصالح العام .

وأستطاع كونفوشيوس إعداد هؤلاء الأشخاص بعيدا عن الديانات التقليدية لأن ديانة ذلك العصر لم تكن تقول سوى القليل عن الحياة بعد الممات ولم تعن عناية تذكر بجعلها مانعا للشر أو باعثا على الفضيلة، وتمشيا مع تجربته العادية فلم يوجه الأنظار إلى هذا

الابتعاد عن آراء السلف إلى حد أنه قد أغفلها أحيانا . وبوجه عام كانت التضحية والشجاعة تعد صفقة مقايضة يضحى فيها بالكثير جدا من أجل مطالب السلف والأرواح الأخرى انتظارا لتلقي الكثير من البركات، وقد ذم كونفوشيوس هذا الوضع إذ كان يؤمن بأن التضحيات التقليدية يجب أن تقدم ولكن بنفس الروح لا لأنه ينتظر أن يحصل منهم على شيء ولكن لأنه الشيء الصحيح الذي يجب أن يؤديه، فهل كان يعتقد أن الأرواح كانت تمنح البركات ؟ ببساطة لسنا على علم بذلك ولعله لم يكن يعتقد ذلك، لهذا نرى النشء الجديد في اليابان قد شب على مبادئ قوة الروح والجرأة والشجاعة التي أستلهمها من تربيته القوية الخشنة وتعاليمه الدينية وأساطيره التي تملأ الأدب الياباني كقصة الأمير/ (سنداي) الذي شاهد حين الاحتضار جوعا عصافير صغار تأكل بنهم بعد إحضار أمهم الطعام لهم فقال قبل أن يلفظ أنفاسه: شرف الفارس يأبى أن يهتم بالجوع وأمعائه فارغة " .والقارئ لتاريخ اليابان يلاحظ أن من تقاليد الفروسية والشجاعة إلا تحارب إلا من هو جدير بصداقتك في السلم أو يساويك أخلاقا ومكانة، ولهذه الصفة دلالات على فلسفة البوشيدو في القيمة الإنسانية والوزن الفردي .

من هذه الفقرات نرى أن البوشيدو جمعوا ما يساعدهم على بناء شخصية فوارسهم من أفكار متعددة ليست بالضرورة كلها من

تعاليم كونفوشيوس لأن البعض قد ظن أن جزء من الفقرات الخاصة بتاريخ كونفوشيوس توحي بأنه كان متشككا أو حتى ملحدا وكان يفتقر إلى الشجاعة أو لسبب آخر أمتنع عن ذكر الحقيقة لطلابه في مسألة الحياة بعد الممات. ويبدو أن هذا قد حسم مسائل صعبة بصورة بسيطة جدا وهي أن كونفوشيوس كانت له معتقدات دينية معينة إلا انه لم يستخدمها كأساس لفلسفته وهنا يبدو أن موقفه مشابه لحد ما مع موقف العالم الحديث، وأن البوشي أخذوا من تعاليمه ما يناسبهم واستكملوا تعاليمهم بين منشيوس وبوذا .ولعل أهم ملاحظة أنه رغم تباين المعتقدات الدينية لهؤلاء الفلاسفة إلا أن فيها حقيقة مشتركة وهي مبدأ الشجاعة والإقدام من أجل المبادئ الأخلاقية والسير في اتجاه منهج الفضيلة الحق.

يتضح لنا جليا نظرة الياباني في فهم الحياة وتفسير الواجب الإنساني وتربيته التي تعتمد على إرساء الشجاعة الصحيحة التي لا تتأثر بالمفاجآت وكل متطلع إليها لابد أن يحتفظ بتوازنه الروحي والمعنوي وتحليه بالمروءة التي تفرضها التقاليد على الفارس الياباني.

ويروى أن قائدا من قادة الفرسان القدماء أبى أن يطعن خصمه المهزوم الذي بدا متماسكا بكبرياء وقوة فأغمد سيفه إجلالا منه للهدوء النفسي الذي تحلى به في مواجهة الموت وقال: "أن فارسا بهذه الصفات لا يصح أن يهدر دمه أو يطوى ضحية لكبريائه

وشجاعته[٣٠] "ولقد نظم الشاعر حافظ إبراهيم (١٨٧٢-١٩٣٢) قصيدتين طويلتين أحداهما بعنوان:" غادة اليابان" ونشرت في ابريل عام١٩٠٣وفيها تمجيد لفلسفة القوة والتحدي التي يتحلى بها الشعب الياباني يقول:

لا تلم كفي إذا السيف نبا صح منى العزم والدهر أبى

والأخرى في نوفمبر عام ١٩٠٤ وأشاد فيها بشجاعة اليابانيين في حربهم مع روسيا أثناء الحرب اليابانية- الروسية (١٩٠٤) .وأبرز ما جاء فيها وصفه لفتاة يابانية أصرت على العودة إلى ديارها للقيام بواجبها الوطني تجاه بلادها والمشاركة في الحرب وعبر عن موقفها قائلا: أنا يابانية لا انثنى عن مرادي أو أذوق العطبا

أنا إن لم أحسن الرمي ولم تستطع كفاي تقليب الظبا أخدم الجرحى واقضي حقهم[٣١]

من كل ما سبق نرى كيف حضرت الأمة اليابانية أبنائها في ظل الحياة الاجتماعية الحالية برغم كل المتاعب والمصاعب المتواجدة في الثقافات الأخرى لكنها تجاوزت كل ذلك في سبيل تكوين وطن وفرد يلتزم بتعاليمهم وقيمهم المملوءة بالفضائل والمزينة بالأخلاق والأدب الذي سوف نتناوله في الفصول التالية .

---

[٣٠] مي بي- باو" مؤلفات موتسي الأخلاقية والسياسية" ص ١٦٥

[٣١] كريل ' كونفوشيوس : "الرجل الأسطورة" ص ٢٠٨ – ٩